

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خطبة الجمعة لتاريخ ٢٠٢١/١١/١٩ الموافق ١٤ ربيع الآخر ١٤٤٣ هـ

اللَّهُ مُتَفَضِّلٌ عَلَى عِبَادِهِ وَلَيْسَ وَاجِبًا عَلَيْهِ شَيْءٌ

الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَسْتَرْشِدُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا،
وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا شَبِيهَ لَهُ وَلَا مَثِيلَ لَهُ مَهْمَا تَصَوَّرْتَ بِبَالِكَ فَاللَّهُ
بِخِلَافِ ذَلِكَ وَمَنْ وَصَفَ اللَّهُ بِمَعْنَى مِنْ مَعَانِي الْبَشَرِ فَقَدْ كَفَرَ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَحَبِيبَنَا
وَقَائِدَنَا وَقُرَّةَ أَعْيُنِنَا مُحَمَّدًا عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ وَصَفِيَّهُ وَحَبِيبَهُ وَخَلِيلَهُ أَرْسَلَهُ اللَّهُ بِالْهُدَى وَدِينِ
الْحَقِّ هَادِيًّا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًّا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا فَهَدَى اللَّهُ بِهِ الْأُمَّةَ وَكَشَفَ بِهِ
الْعُمَّةَ وَأَخْرَجَ بِهِ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ فَجَزَاهُ اللَّهُ خَيْرَ مَا جَزَى نَبِيًّا عَنْ أُمَّتِهِ اللَّهُمَّ
صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ،
أَمَّا بَعْدُ عِبَادَ اللَّهِ فَأَوْصِي نَفْسِي وَإِيَّاكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَظِيمِ فَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ.

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي سُورَةِ الْأَنْبِيَاءِ ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ
﴿١٣﴾﴾. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَارِبُوا وَسَدِّدُوا
وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُو أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ. قَالُوا وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَعَمَّدَنِي
اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَقَضَلَ اه رواه مسلم.

اعْلَمُوا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ أَنَّهُ قَدْ اتَّفَقَتْ كَلِمَةُ أَهْلِ الْحَقِّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَجِبُ عَلَيْهِ شَيْءٌ
فَهُوَ سُبْحَانَهُ فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ فَلَا أَمْرَ وَلَا نَاهِيَّ لَهُ، يَحْكُمُ فِي خَلْقِهِ بِمَا يُرِيدُ وَيَفْعَلُ فِي مُلْكِهِ مَا
يَشَاءُ، يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ وَيَمْنَعُ مَنْ يَشَاءُ، فَكَمْ نَرَى مِنْ صَالِحٍ مُقْتَرِّ عَلَيْهِ فِي الرِّزْقِ وَيَنْهَالُ عَلَيْهِ
الْبَلَاءُ كَالسَّيْلِ الْجَارِفِ وَهُوَ ثَابِتٌ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَكَمْ نَرَى مِنْ فَاسِدٍ فِي نَفْسِهِ مُفْسِدٍ فِي الْأَرْضِ
لَا يُرَاعِي حَقًّا وَلَا يَفِي بَعْدَ وَلَا يَحْفَظُ ذِمَّةً مَبْسُوطٌ لَهُ فِي الرِّزْقِ يَحْيَا فِي نَعِيمٍ قَدْ اغْتَرَّ بِمَتَاعِ
الدُّنْيَا الزَّائِلَةِ وَأَغْرَاهُ الشَّيْطَانُ، وَكَمْ تَسَلَّطَ كَثِيرٌ مِنَ الْجَبَابِرَةِ عَلَى الرِّقَابِ فَعَاثُوا بَغْيًا وَضَلَالًا

وَكُلُّ ذَلِكَ لِحِكْمَةٍ يَعْلَمُهَا اللَّهُ الْحَكِيمُ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَعْتَرِضَ عَلَى اللَّهِ إِذَا رَأَى مِثْلَ ذَلِكَ كَمَا أَنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَعْتَرِضَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى إِذَا رَأَى إِيْلَامَ الْأَطْفَالِ وَذَبْحَ الْبَهَائِمِ الَّتِي أَحَلَّ اللَّهُ لَنَا الْإِنْتِفَاعَ بِلُحُومِهَا.

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ لَا يَرْجُو ثَوَابًا وَلَا يَخَافُ عِقَابًا وَلَا يَجْتَلِبُ بِمَخْلُوقَاتِهِ نَفْعًا وَلَا يَدْفَعُ بِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ضَرًّا، أَمَا فَنَحْنُ فَتَنْتَفِعُ وَنَتَضَرَّرُ بِحَسَبِ أَعْمَالِنَا فَمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ نَفَعَتْ نَفْسُهُ وَمَنْ تَعَدَّى حُدُودَ اللَّهِ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَصَارَ مُسْتَحِقًّا لِعَذَابِ اللَّهِ الشَّدِيدِ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي عَقِيدَتِهِ وَكُلُّ نِعْمَةٍ مِنْهُ فَضْلٌ وَكُلُّ نِقْمَةٍ مِنْهُ عَدْلٌ. وَقَدْ دَلَّتِ الْآيَةُ وَالْحَدِيثُ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى قَالَ أَبُو حَيَّانٍ فِي الْبَحْرِ الْمُحِيطِ لَا يُسْأَلُ عَنْ حُكْمِهِ فِي عِبَادِهِ وَهُمْ يُسْأَلُونَ عَنْ أَعْمَالِهِمْ أَهْلُ النَّاسِ يُسْأَلُونَ وَيُجَاسَبُونَ لِأَنَّهُمْ مَأْمُورُونَ بِمَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَعْتَرِضَ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ خَالِقُهُمْ وَمَالِكُهُمْ عَلَى الْحَقِيقَةِ فَيَجْزِيهِمْ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَلَا يَكُونُ ظَالِمًا لَهُمْ، إِذِ الظُّلْمُ هُوَ مُخَالَفَةُ أَمْرٍ وَنَهْيٍ مَنْ لَهُ الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ أَوْ هُوَ التَّصَرُّفُ فِي مِلْكٍ غَيْرِهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ، وَاللَّهُ مَالِكُ الْمُلْكِ يَفْعَلُ فِي مُلْكِهِ مَا يُرِيدُ وَهُوَ الْأَمْرُ الْمُطْلَقُ وَالتَّاهِي الْمُطْلَقُ فَلَا يُتَصَوَّرُ فِي حَقِّهِ الظُّلْمُ قَالَ تَعَالَى فِي سُورَةِ فُصِّلَتْ ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ٤٦﴾.

فَلَا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ يَجِبُ عَلَى اللَّهِ كَذَا لِأَنَّ هَذَا مَعْنَاهُ أَنَّهُ مُحْكُومٌ لِغَيْرِهِ، وَالْمَحْكُومِيَّةُ تُنَافِي الْأُلُوْهِيَّةَ، وَقَدْ بَيَّنَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِهِ هَذَا الْمَعْنَى وَأَوْضَحَ لِأُمَّتِهِ الْمُعْتَقَدَ الْحَقُّ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُسْتَقَرًّا فِي الثُّفُوسِ فَقَالَ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُو أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ أَيْ لَا يَجِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخَلَ أَحَدًا الْجَنَّةَ وَيُرْزَحِرَهُ عَنِ النَّارِ لِأَجْلِ عَمَلِهِ وَلَوْ كَانَ عَمَلُهُ عِبَادَةً أَلْفَ سَنَةٍ، بَلْ وَلَوْ كَانَ أَفْضَلَ خَلَقِهِ وَهُوَ نَبِيُّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا صَرَّحَ بِذَلِكَ بَعْدَ سُؤَالِ الصَّحَابَةِ لَهُ فَقَالَ وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَعَمَّدَنِي اللَّهُ أَيْ يَعْمُرَنِي بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ. وَإِذَا كَانَ هَذَا هُوَ الْحَالُ بِالنِّسْبَةِ لِأَجْلِ الْأَنْبِيَاءِ وَسَيِّدِ السَّادَاتِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَكَيْفَ بِمَنْ هُمْ دُونَهُ.

وَأَمَّا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ النَّحْلِ ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٣٢﴾ وَقَوْلُهُ فِي سُورَةِ الْمُرْسَلَاتِ ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ١٣﴾ وَتَحْوِيهِمَا مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ الْأَعْمَالَ يُدْخَلُ بِهَا الْجَنَّةَ فَلَا تَعَارِضَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ بَلِ الْمَعْنَى أَنَّ دُخُولَ الْجَنَّةِ

والتَّعَمُّمِ فِيهَا بِالْأَعْمَالِ أَيِّ بِسَبَبِهَا، هَذَا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ سَبَبًا لِلْفَوْزِ فِي الْآخِرَةِ بِرَحْمَتِهِ لَا بِإِجَابِ أَحَدٍ ذَلِكَ عَلَيْهِ.
هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ تَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ وَنَشْكُرُهُ وَنَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ
أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
الصَّادِقِ الْوَعْدِ الْأَمِينِ وَعَلَى إِخْوَانِهِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ. أَمَّا بَعْدُ عِبَادَ اللَّهِ فَإِنِّي أُوصِيكُمْ
وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ فَاتَّقَوْهُ.

Après quoi, esclaves de Dieu, je me recommande ainsi qu'à vous-mêmes de faire preuve de piété à l'égard de Dieu *العظيم Al-Adhim*. Craignez donc Dieu le Seigneur des mondes. Dieu تعالى dit, dans le قرآن *Qur'an* honoré ce qui signifie : « **Il n'est pas interrogé à propos de ce qu'Il fait alors qu'eux le seront.** » Et d'après *Abou Hourayrah*, que Dieu l'agrée, le Messager de Dieu صلى الله عليه وسلم a dit ce qui signifie : « **Suivez la voie de juste milieu, soyez droits, et sachez que la sauvegarde n'est due à personne d'entre vous grâce à ses œuvres.** » Ils lui ont dit : « *Pas même toi, ô Messager de Dieu ?* » Il a répondu ce qui signifie : « **Pas même moi, sauf si Dieu me couvre d'une miséricorde et d'une grâce de Sa part .** »

Sachez, chers frères, que la parole des gens de la vérité s'est accordée sur le fait que Dieu, rien n'est obligatoire pour Lui. Dieu سبحانه est Celui Qui fait ce qu'Il veut, Il n'a ainsi personne qui Lui ordonne ou qui Lui interdise. Il ordonne à Ses créatures ce qu'Il veut et Il leur interdit ce qu'Il veut, Il fait dans ce qui Lui appartient ce qu'Il veut, Il accorde à Qui Il veut, Il prive qui Il veut. Combien de vertueux ont une subsistance très limitée, sont en proie à des épreuves dévastatrices, et restent pourtant fermes sur l'obéissance à Dieu... Et combien de gens dont l'âme est corrompue sèment la corruption sur terre, n'ont pas de considération pour le droit des gens, ne tiennent aucun engagement et ne préservent aucun droit, et reçoivent pourtant une très large subsistance. Ils vivent dans une grande félicité dans le bas monde, ils se sont laissés méprendre par les biens éphémères du bas monde et le *chaytan* les a dupés. Et combien de tyrans se sont attaqués aux gens, ont semé le désastre par leur injustice et leur égarement, et tout cela selon une sagesse que Dieu sait ! Personne n'a à se rebeller contre Dieu en voyant pareille chose, tout comme personne n'a à se rebeller contre Dieu lorsqu'il voit la souffrance des enfants ou encore le sacrifice de bêtes que Dieu nous a autorisés à tirer profit de leur viande.

Qui plus est, Dieu n'espère aucune récompense et ne craint aucun châtement. Il ne tire aucun profit pour Lui-même grâce à Ses créatures tout comme Il ne repousse par elles aucune nuisance. Tandis que nous, nous pouvons tirer bénéfice ou subir une nuisance en fonction de nos actes. Celui qui obéit à Dieu, il aura tiré profit de ses actes pour lui-même. Celui qui aura outrepassé les limites fixées par Dieu, il aura été injuste envers lui-même et aura mérité le châtement douloureux de Dieu.

Le *hafidh* Ibnou [^]Açqakir, dans son traité de croyance, a dit : « *Tout bienfait de Sa part est une grâce et tout châtement de Sa part est une justice.* » Le verset et le *hadith* حديث indiquent bien ce sens-là. Abou Hayyan dans *Al-Bahrou l-Mouhit* a dit : « *Il n'est pas interrogé sur ce qu'Il ordonne et interdit à Ses esclaves, alors qu'eux seront interrogés sur leurs œuvres.* » Fin de citation. Les gens seront interrogés, ils rendront des comptes, car ils ont reçu l'ordre d'accomplir ce que Dieu leur a ordonné de faire. Personne n'a à faire d'objection contre Dieu, car Il est le Créateur des gens, Il est Celui à Qui ils appartiennent en réalité. Il les rétribue en fonction de ce qu'ils accomplissent et Il n'est pas injuste envers eux. L'injustice, c'est de contrevenir à l'ordre et à l'interdiction de celui à qui revient le fait d'ordonner et d'interdire. Ou encore, l'injustice, c'est disposer des biens d'autrui sans son autorisation. Or, Dieu est Celui à Qui appartient la souveraineté qu'Il accorde aux créatures. Il fait de ce qui Lui appartient ce qu'Il veut. Il est Celui Qui ordonne absolument ce qu'Il veut et Celui Qui interdit absolument ce qu'Il veut. L'injustice n'est donc pas concevable de Sa part. Dieu تعالى dit ce qui signifie : « **Et ton Seigneur n'est en rien injuste envers les esclaves.** »

Il n'est pas valide de dire : « *Il est obligatoire pour Dieu de faire telle chose* », car cela veut dire qu'Il aurait à suivre les ordres d'autrui. Or, le fait d'avoir à suivre les ordres d'autrui contredit la divinité. Le Prophète صلى الله عليه وسلم a précisé dans son *hadith* حديث ce sens, il a expliqué à la communauté le sens correct qu'il est un devoir d'avoir fermement établi dans le cœur. En effet, il a dit ce qui signifie : « ***et sachez que la sauvegarde n'est due à personne d'entre vous grâce à ses œuvres.*** » c'est-à-dire qu'Il n'est pas un devoir pour Dieu de faire rentrer quiconque parmi vous au Paradis et de lui éviter l'enfer pour ses œuvres, même si ses œuvres étaient des actes d'adoration ayant duré mille ans. Quand bien même il serait la meilleure de Ses créatures, et il s'agit de notre Prophète محمد Mouhammad صلى الله عليه وسلم, tout comme il l'a explicitement dit après que les compagnons lui avaient posé la question. Il avait répondu ce qui signifie : « ***Pas même moi, sauf si Dieu me couvre d'une miséricorde et d'une grâce de Sa part.*** »

Si tel est le cas pour les prophètes, et le Maître de tous les maîtres, que Dieu l'honore et l'élève davantage en degré, qu'en est-il pour ceux qui sont d'un degré inférieur au sien ?!

Quant à la parole de Dieu dans la sourate النحل *An-Nahl* qui signifie : « **Entrez au Paradis en rétribution des œuvres que vous avez accomplies** » et Sa parole, dans la sourate المرسلات

Al-Moursalat qui signifie : « **Mangez et buvez en ayant le bonheur pour ce que vous avez accompli** » et ce qui est de cet ordre des versets qui indiquent que les œuvres font entrer au Paradis, il n'y a pas de contradiction entre elles et ce *hadith* honoré. Le sens de ces versets est que l'entrée au Paradis et la félicité au Paradis sont par les œuvres, c'est-à-dire par leur cause. Ceci est une miséricorde et une grâce de la part de Dieu, car Dieu a fait que les œuvres vertueuses soient une cause pour obtenir la réussite dans l'au-delà, par Sa miséricorde et non pas par le fait que quelqu'un L'aurait obligé à le faire.

وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ أَمَرَكُمْ بِأَمْرِ عَظِيمٍ أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ فَقَالَ ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^١ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى ءَالِ إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى ءَالِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى ءَالِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ اللَّهُمَّ ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتَّقَى وَالعِفَافَ وَالعِنَى اللَّهُمَّ مُصَرِّفِ القُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ جَهْدِ البَلَاءِ وَدَرَكِ الشَّقَاءِ وَشِمَاتَةِ الأَعْدَاءِ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا مَا قَدَّمْنَا وَمَا أَخَّرْنَا وَمَا أَسْرَرْنَا وَمَا أَعْلَنَّا وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنَّا أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. عِبَادَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي القُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ وَالبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ اذْكُرُوا اللَّهَ العَظِيمَ يَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا يَزِدْكُمْ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُ يَغْفِرْ لَكُمْ وَاتَّقُوا يَجْعَلْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَخْرَجًا وَأَقِمِ الصَّلَاةَ.

^١ سُورَةُ الأَحْزَابِ/٥٦.